



كتاب أمين معلوف... حينين ويأس

خبر الله خير الله
إعلامي لبناني



إلى أن اكتب بالأسود على الأبيض: يوم الاثنين الواقع فيه الخامس من حزيران - يونيو 1967، كانت ولادة حال اليأس العربية... يبدو أن حال اليأس لا تزال سائدة. لكن ما يستوقف أيضا في الكتاب جملة قصيرة ورد فيها الآتي "الهزيمة توفر أحيانا فرصة لم يستطع العرب التقاطها. الانتصار يصبح أحيانا فخا لم يستطع الإسرائيليون تفادي الوقوع فيه".

لم يستطع العرب التقاط الفرصة التي وفرتها الهزيمة التي أصر جمال عبدالناصر، الذي كان محط آمال الأجيال العربية وقتذاك، على وصفها بـ"النكسة". تضمن الكتاب تحليلا دقيقا لشخصية جمال عبدالناصر ولأسباب الهزيمة وما تلاها، وصولا إلى واقعنا العربي الراهن. يدفع أمين معلوف القارئ إلى التفكير بعيدا عن السطحية. لذلك، يتحول "غرق الحضارات" إلى منصة يمكن الانطلاق منها لسبر أغوار ما هو أوت علينا في ظل حال الانسداد التي يشهدها العالم على كل صعيد. يحكم العالم حاليا أشخاص لا علاقة لهم بالسياسة بالمعنى المتداول للسياسة. هل دونالد ترامب سياسي أم رجل أعمال يتصرف وكان البيت الأبيض مكتب لشركة كبيرة لديها مصالح في مختلف أنحاء العالم؟ ما هي الصين؟ ما هذا الإنجاز الاقتصادي الضخم، الذي لا مثيل له، الذي حققه دينغ هشياو بينغ الذي استطاع نقل البلد الأكثر سكانا في العالم، إلى مكان آخر بعد تصفيته لتركه ماو تسي تونغ؟ في كتاب أمين معلوف كل الأستلة

الصعبة، بما في ذلك تلك التي يفضل العرب عموما تفاديها. تلك الأستلة مرتبطة بكيفية نهوض ألمانيا واليابان بعد هزيمتهما في الحرب العالمية الثانية. هناك معجزة ألمانية وأخرى يابانية بعد تخلص البلدين من الروح العدائية التي جعلتهما يركزان على المجهود الحربي وعلى الجيش وكل ما هو تابع لهما. انصرفت ألمانيا واليابان إلى شؤونهما الداخلية، وخصصتا كل قدراتهما للدخل الألماني والياباني بعد الحرب العالمية الثانية، فيما لا يزال اليأس مخيما على عالما العربي الذي يعاني أيضا من الشرخ السني - الشيعي الذي ترسخ بعد نجاح الثورة الإيرانية وقيام "الجمهورية الإسلامية". من بين أكثر المقاطع التي تثير الإعجاب في "غرق الحضارات" تلك التي كان فيها العالم العربي عالما طبيعيا يتجاوز فيه الناس العاديون مع أفكارا اليسارية ومع طروحات كارل ماركس. أكثر من ذلك، لم يكن هناك تمييز بين السني والشيعي. يكتب أمين معلوف أن جمال عبدالناصر السني كان مترجحا من شيعة هي تحية كاظم ابنه تاجر إيراني استقر في الإسكندرية. لم يثر أحد هذا الموضوع في تلك الأيام، لا محبو ناصر ولا الذين كانوا يشتنون الحملات عليه. كانت الخصومة القديمة بين الفرعين الأساسيين للإسلام (السنة والشيعية) "جزءا من الماضي".

يشكل "غرق الحضارات" وصفا حيا للامساة التي تعيشها المنطقة، وهي مأساة ليس ما يشير إلى أنها ستنتهي قريبا. صار الأمر العربي - الإسرائيلي مستحيلا. لا يتحمل العرب ودهم المسؤولية، إسرائيل نفسها تجد نفسها في مواجهة حائط مسدود. ليس ما وصلت إليه حاليا نتاج انتصارها على العرب فحسب، بل هو

يظل الكتاب الأخير لأمين معلوف وعنوانه "غرق الحضارات" من أفضل ما يمكن أن يتمتع به قراء اللغة الفرنسية هذه الأيام... على أمل أن يأتي دور قراء العربية قريبا.

هناك وضوح ليس بعده وضوح بالنسبة إلى ما يعاني منه عالما هذا، وهناك أيضا ربط بين الثورات التي شهدتها العام 1979، من ثورة اليمن الأوروبي المحافظ التي جاءت بمارغريت تاتشر إلى السلطة في بريطانيا والتي مهدت لوصول رونالد ريغان إلى البيت الأبيض... إلى ثورة آية الله الخميني التي غيرت الشرق الأوسط والمنطقة، كما غيرت إيران في اتجاه الابتعاد عن الغرب.

هناك في كتاب أمين معلوف كلام لرجل عاقل يتمتع بصفاء ذهني قل نظيره. أمين معلوف بطريقة بسيطة واستنادا إلى تجارب شخصية لماذا كل هذا القلق على مصير العالم عموما ومخافتنا خصوصا. يصدر الكلام عن شاهد عيان على السقوط اللبناني. من بلد صغير كان يمكن أن يكون نموذجا ناجحا للعيش المشترك بين كل أنواع الطوائف والمذاهب والإثنيات... إلى بلد يبدو مصيره بائسا.

يستوقف في الكتاب ما كتبه أمين معلوف عن السنة 1967 والهزيمة العربية التي عاشها كطالب جامعي والتي ما زالت تتفاعل. اختزل نتائج الهزيمة بجملة جاء فيها "آكاد أميل

بأن تزيد الطين بلة؛ انتخب سليمان شنين رئيسا للجنة السفلى للبرلمان الجزائري، بتنازل أو تواطؤ حزب جبهة التحرير الوطني التي سحبت مرشحها للمنصب، بعد أن أفرغت المكان بإقالة معاذ بوشارب.

ويتمنى شنين إلى حركة البناء الوطني، وهي جزء من تحالف النهضة والعدالة والبناء الذي يضم ثلاثة أحزاب إخوانية، حظيت برضا ورعاية مؤسسة العصاوية.

إنه واحد من قادة منهج أيديولوجي رفضته الجزائر. ولكن مهدت لتوليته منصبه الجديد جبهة ترفض سلطتها الجزائر. وما يخشاه الجزائريون هو أن يتواصل التواطؤات، حتى يتغلب على رئاسة الجزائر واحد من ورثة العشرية السوداء، يؤمن بنظرية: إما نحن أو الخراب، وأن الديمقراطية سلم نرتقيه لكي نركله.

هل هذا آخر التواطؤ أم أوله؟ هل يستغل قادة جبهة التحرير نفوذهم الباقي لكي يمهّدوا الطريق أمام انتخاب رئيس ينتهي، هو الآخر، إلى واحدة من الجماعات الإسلامية؟ هل يريدون أن ترى الجزائر الموت من جديد لكي يرضى الجزائريون بالمرض الذي عاشوا فيه لسنة عقود؟ هل يريدون لها أن تتمزق كما تمزق السودان؟ هل يريدون لرئاسة الجزائر محمد مرسى، آخر، يتخاطر في إدارة سلطته من قطر؟ وما هو نوع الصفقة التي تغذيها جبهة التحرير مع تلك الجماعات التي أفرقت الجزائر بالدم لعشر سنوات؟ ما هو معناها أصلا؟ وهل عمقت الجزائر لكي لا نجد من بين أبنائها من يمكنه أن يحكمها إلا بعض من تولت أياديهم بالدماء، أو تولت عقولهم بالتطرف؟ هل يليق أصلا، بجبهة ارتبط اسمها بتحرير الجزائر من الاستعمار، أن تبغ الجزائر لواحد من تخطيمات الإخوان، هم الذين باعوا أنفسهم لكل شيطان رجييم؟ ألا يرى أصحاب تلك الصفقة القذرة، أنهم يبيعون الجزائر لمشروع يستهدف تمزيق الكيانات العربية وتفجيرها من الداخل، برعاية وتمويل قطريين؟

صحيح أن أخلاقيات الفساد قد طغت على كل شيء، ولكن لا يخافون العاقبة؛ أفلا يحترمون دماء الشهداء وتضحيات الملايين ممن أراودوا للجزائر أن تكون لاهلها، لا مستعمرين ولا لاتباع مستعمرين؟

هذه بعض من الأسئلة التي تبحث عن أجوبة لغزى ذلك الخيار وأهدافه، أم إنه مجرد وجه آخر لحال الضياع التي تعانينا جبهة تعرف أنها حكمت وأفسدت وقادت إلى الفشل، فارات أن تترك بصمتها الأخيرة،

لبناني. تضيق المساحات لدى الحديث عن تلك المرحلة التي كان مجيء أحمد شوقي فيها إلى لبنان يتصدر الصفحات الأولى للصحف اللبنانية. كان أحمد شوقي "أمير الشعراء". كان عنوانا للإشعاع المصري في المنطقة كلها، كذلك كان طه حسين.

يتوج التشاؤم بالمستقبل الذي يميز "غرق الحضارات" الوضع الأوروبي الذي كان يمكن أن يمثل الأمل. هناك مشروع أوروبي يتلانى حاليا. كانت أوروبا مهية، عبر تجربة الاتحاد الأوروبي، لتكون بمثابة قارب نجاة للعالم. لكن هذا القارب يبدو أنه يغرق أيضا. لم يذهب أمين معلوف في تشاؤمه إلى النهاية بإصدار حكم قاطع بأن كل شيء في عالما يغرق. لا يزال هناك أمل بأن "يدا خفية" يمكن أن تحول دون الكارثة... في عالم صار كل شيء فيه مراقبا.

لها ولون. هذا الشعور بالحنين إلى الماضي والياس من المستقبل دفع أمين معلوف إلى كتابة فصل خصصه لمصر التي هاجر إليها جده لوالدته. الأكد أنه كان يتحدث عن مصر الثلاثينات والأربعينات ومطلع الخمسينات. وقتذاك، كانت أم كلثوم تغني "رباعيات الخيام" والمهاجرة السورية الأصل وأسماهان تحيي "ليالي الأندلس في فيينا" والمصرية اليهودية ليلى مراد (من عائلة اسولين) تهز الصالات والمسارح باغنيتها "أنا قلبي ليلي". لم يقتصر إشعاع مصر على فنائها وموسيقيها وممثلها الذين كانت لغتهم العربية. كان هناك كلود فرانسوا المغني الفرنسي الذي ترعرع في مصر (الإسماعيلية) وكان وراء أغنية "على طريقي" التي انتشرت في العالم بفضل قرارك سيناترا والتي كان أول من غناها بالإنكليزية بول انكا، وهو أميركي من أصل سوري-

نتاج أحداث داخلية إسرائيلية أيضا. ففي العام 1975، بدأ الاستيطان في الضفة الغربية المحتلة. غير الاستيطان الواقع على الأرض. استقر متطرفون في مكان في الضفة المحتلة اسمه أوفرا. أمر رئيس الوزراء اسحق رابين بإجلائهم بالقوة، لكن شمعون بيريس الذي كان وزيرا للدفاع رفض ذلك. هكذا ولدت المستوطنة الأولى. كان ذلك في ظل حكومة عمالية وذلك قبل أن يصل اليمين إلى السلطة في العام 1977.

في "غرق الحضارات" حنين إلى الماضي وياس من المستقبل ليس في لبنان والعالم العربي والمنطقة فقط. هناك شعوران يجتاحان العالم حاليا. يجتاحان شخصا مثلي يعيش بعض الوقت في لندن ويتابع ما وصلت إليه بريطانيا العظمى، خصوصا في حال خلف سياسي فارغ اسمه بوريس جونسون تيريزا ماي، المرأة التي لا طعم

هل تنشأ حركة سياسية جديدة لفلسطينيي 48

زمن يستعصي على التغيير. فهل يأتي التغيير من بين فلسطينيي 1948، بعد أن كان لفترة من الزمن يجري بمعزل عنهم؟

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبالي
كرم نعمة
حذام خريف

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 - 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

الإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk
www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

وتنشأ عام 1967 وإنما نشأت نتيجة النكبة في 1948، وأنه يفترض حث الجهود لإعادة بناء الحركة الوطنية الفلسطينية على أسس جديدة.

يؤكد غانم في مسعا لإشعاع حركة سياسية جديدة (حزب الوحدة الشعبية)، ضرورة تشكيل قائمة موحدة تضم لاجريين، باعتبار أن الانتخابات تخص فلسطينيي 48 وليس أحزابهم فقط، وأن ذلك يشكل حالة ضغط في هذا الاتجاه، و فقط في حال عدم انضباع القوى السائدة لهذا المطلب فإن حزبه سيخوض المعركة لجلب مشاركة أكثر للفلسطينيين في الانتخابات، وأن الصراع لا يدور على حصة الأحزاب، وإنما على أكثر من 50 بالمئة من الناخبين الذين عزفوا عن المشاركة في الانتخابات السابقة، ناهيك أن 25 بالمئة من المصوتين الفلسطينيين أعطوا أصواتهم لأحزاب صهيونية. مبادرة أسعد غانم تستحق التقدير، فحتى لو كانت بمثابة إلقاء حجر في مياه راكدة، فهي أمر مشروع لهز الجمود والكيانات السياسية في الداخل والخارج، التي باتت متقادمة ومتكسرة، ولم يعد لديها ما تضيفه. قد يذهب البعض إلى أننا إزاء مبادرة متسكرة، لكن السؤال، كم نصف قرن يفترض الانتظار لتحريك الجمود في كيانات ليس لها أي تمثيل أو دور في مجتمعات الفلسطينيين وفي الصراع ضد عدوهم؟ قد يقال إن الظروف غير ناضجة، لكن من المسؤول عن عدم نضج تلك الظروف؟ وهل تتيج الكيانات السائدة حركات سياسية في مجتمعات الفلسطينيين في الداخل والخارج، للإسهام في إنضاج الظروف؟ هل ثمة منابر للحوار الفلسطيني؟ هل ثمة إشارات تشريعية فاعلة أو مراكز أبحاث تسهم في صنع القرار؟ قد يقال إنها مبادرة تفتتت فلسطينيي 1948، والسؤال ما الوضع في الداخل والخارج، مع كيانات سياسية تشغل بعقليات مغلقة، وباتت كأنها في واقع سلطوي، وليس في واقع تحرر وطني لشعب يكافح لأجل حقوقه الوطنية والتاريخية ضد النزعة الاستعمارية والعنصرية والاستيطانية الإسرائيلية؟ مع كل ذلك من المفهوم أنه لا توجد مبادرات سياسية كاملة أو بلا أخطاء، فالظواهر السياسية لا يمكن هندستها، لذا فإن تلك المبادرة حتى وإن كانت مغامرة فإنها تستحق الاهتمام، والأمل أن تنفتح على تطورات أخرى في مساحات أخرى في وضع فلسطيني بات منذ

وضمنها أوراق "ملتقى فلسطين"، والذي يؤكد أيضا أن إعادة بناء منظمة التحرير تفترض أن تصحح الخطأ التاريخي الحاصل، بتتمثيل فلسطينيي 48 في إدارتها، وأن تأخذ في اعتبارها أن العمل في الكنيست وسيلة لتعزيز المكانة الحقوقية للفلسطينيين في إسرائيل، ومكسب للدفاع عن الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني، بالتوازي مع تشكيل كيان سياسي أو برلمان، لفلسطينيي 48، يعبر عن هويتهم الوطنية وعن كونهم جزءا من شعب أكبر، ويكون جزءا من المجلس الوطني الفلسطيني.

كم نصف قرن يفترض الانتظار لتحريك الجمود في كيانات بات لها أكثر من ذلك؟ وماذا عن فصائل ليس لها أي تمثيل أو مكانة أو دور في مجتمعات الفلسطينيين وفي الصراع ضد عدوهم وما زالت محسوبة كفصائل؟

القصم من كل ذلك التأكيد بأن عزز القوى السائدة في فلسطينيي 48 عن تطوير ذاتها، وجسر الفجوة بينها وبين شعبها، بواقع انحسار نسبة التصويت في الانتخابات السابقة للكنيست، إذ حصلت القوى الأربع على ما نسبته 35 بالمئة من المصوتين، الذين شاركوا بنسبة 50 بالمئة، بينما كانت نسبة المشاركة الفلسطينية في انتخابات 2015 حوالي 65 بالمئة، وأيضا كنتيجة لعدم قبول تلك القوى بتضمين قائمتها شخصيات فلسطينية وأزنة ومؤهلة ولا حزبية، باعتبار أن القائمة تمثل كل الفلسطينيين (في أراضي 1948) وليس المنتسبين للقوى الأربع المذكورة فقط. هذا الجدل هو الذي فتح المجال أمام شخصيات فلسطينية من أكاديميين وسياسيين وناشطين لقرع جرس الإنذار، برز من بينها على وجه الخصوص الحراك الذي يقوده أسعد غانم، أستاذ العلوم السياسية في جامعة حيفا، وهو ناشط سياسي معروف يتميز برويته الشاملة التي تربط المحلي بالوطني، والذي يؤكد أن القضية الفلسطينية لم

لم تعد أزمة العمل الوطني الفلسطيني، مقصورة على الحركة الوطنية الفلسطينية المتمثلة بمنظمة التحرير والسلطة والفصائل، إذ هي أضحت تشمل الأحزاب والقوى السياسية للفلسطينيين في إسرائيل أيضا، والتي من مظاهرها جمود حراكهم السياسي وتفكك قواهم وعجز لجنة "المتابعة"، التي يترأسها محمد بركة منذ سنوات عن تشكيل إطار وطني جامع لهم، ويأتي ضمن ذلك إخفاقهم في تشكيل قائمة مشتركة للانتخابات الكنيست السابقة في أبريل 2019، ما انعكس في انحسار قوتهم التصويتية، وانخفاض عدد المقاعد التي حصلوا عليها في الكنيست، من 13 إلى 10.

معلوم أن الحديث يدور عن الحركة الوطنية للفلسطينيين في إسرائيل التي ظلت خارج المداولات الفلسطينية، أو خارج إطارها الجمعي المتمثل بمنظمة التحرير، وهو الأمر الذي شكّل ثغرة في رؤية الشعب الفلسطيني لذاته، وأثر على مكانة الحركة الوطنية الفلسطينية، بوصفها تمثل كل الفلسطينيين وتعبّر عن قضيتهم بكل مظاهرها.

ثانيا، الحديث يدور هنا عن القوى المتصدرة للعمل السياسي في مجتمع الفلسطينيين في إسرائيل، وذلك يشمل ثلاث قوى حزبية، تتفاوت في طبيعة رؤاها وبنائها، وهي الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة (وعمادها الحزب الشيوعي)، والتجمع الوطني الديمقراطي، والحركة الإسلامية. وثمة قوة رابعة أنبثت على المكانة الشخصية إخوان الجزائر عن غيرهم من إخوان الشيطان الآخرين؛ وإن شاعت جبهة التحرير أن تعود إلى السلطة، على ظهر الفشل المنتظر، فكم من الجزائر سيبقى في ذلك الوقت لينقذوه؟

كل هذه الأسئلة إنما تذهب في اتجاه واحد، هو أن الذين قادوا نظام الفساد يريدون أن يبيعوا الجزائر لمن هم أفسد منهم. الأولون يغنمون المال والجاه والأمن، والآخرين يغنمون السلطة.

وهذه إهانة لن تتحملها الجزائر. الجزائريون أنكي، على أي حال، من عقلية التامر التي تقودها بقايا العصاوية.

أسئلة قبل إهانة الجزائر

علي الصراف
كاتب عراقي

حزب وقف وراء المسألة التي قادت الجزائري إلى المازق الراهن، وافترق إلى الشجاعة ليخدم مرشحا للانتخابات الرئاسة، تواطأ أخيرا من أجل أن يمنح منصب رئيس المجلس الشعبي الوطني، إلى واحد من قادة الجماعات الإسلامية في الجزائر. وكلاهما يؤمن بنظرية واحدة للسلطة تقول: إما نحن أو الخراب، وأن الديمقراطية سلم نرتقيه لكي نركله.

هل هذا آخر التواطؤ أم أوله؟ هل يستغل قادة جبهة التحرير نفوذهم الباقي لكي يمهّدوا الطريق أمام انتخاب رئيس ينتهي، هو الآخر، إلى واحدة من الجماعات الإسلامية؟ هل يريدون أن ترى الجزائر الموت من جديد لكي يرضى الجزائريون بالمرض الذي عاشوا فيه لسنة عقود؟ هل يريدون لها أن تتمزق كما تمزق السودان؟ هل يريدون لرئاسة الجزائر محمد مرسى، آخر، يتخاطر في إدارة سلطته من قطر؟ وما هو نوع الصفقة التي تغذيها جبهة التحرير مع تلك الجماعات التي أفرقت الجزائر بالدم لعشر سنوات؟ ما هو معناها أصلا؟ وهل عمقت الجزائر لكي لا نجد من بين أبنائها من يمكنه أن يحكمها إلا بعض من تولت أياديهم بالدماء، أو تولت عقولهم بالتطرف؟ هل يليق أصلا، بجبهة ارتبط اسمها بتحرير الجزائر من الاستعمار، أن تبغ الجزائر لواحد من تخطيمات الإخوان، هم الذين باعوا أنفسهم لكل شيطان رجييم؟ ألا يرى أصحاب تلك الصفقة القذرة، أنهم يبيعون الجزائر لمشروع يستهدف تمزيق الكيانات العربية وتفجيرها من الداخل، برعاية وتمويل قطريين؟

صحيح أن أخلاقيات الفساد قد طغت على كل شيء، ولكن لا يخافون العاقبة؛ أفلا يحترمون دماء الشهداء وتضحيات الملايين ممن أراودوا للجزائر أن تكون لاهلها، لا مستعمرين ولا لاتباع مستعمرين؟

هذه بعض من الأسئلة التي تبحث عن أجوبة لغزى ذلك الخيار وأهدافه، أم إنه مجرد وجه آخر لحال الضياع التي تعانينا جبهة تعرف أنها حكمت وأفسدت وقادت إلى الفشل، فارات أن تترك بصمتها الأخيرة،